بيعة الأمير عبد القادر
حيثياتها ومرجعياتها القانونية والشرعية

بقلم
د/ عبد القادر سلاماني (*)

ملخص

نتيجة للفراغ السياسي الخطير في الجزائر الذي نجم عن معاهدة الاستسلام من طرف الداي حسين في 05 جويلية 1830م، أصبحت الوضعية جد مضطربة بحيث أدى الاحتلال الفرنسي إلى اختلال الأمن وانتشار السلب والنهب بسبب حالة الفوضى التي أعقبت الانهيار الكامل لمؤسسات الإدارة، فالواقع الاجتماعي والاقتصادي لم يكن يشجع على تقوية صفوف المقاومة، نظرا لوجود عدة تشكيلات اجتماعية منها من ساهمت بفعالية في دعم المقاومة، وأخرى كانت لها امتيازات خلال الحكم العثماني والتي لم تكن على استعداد للتخلي عن جميع امتيازاتها، ومن هنا نجد استحداث القطيعة مع تقاليد الحكم السابق وتولي منصب القيادة، إلى شاب واعي قادر على الدفاع بنفس طويل، لذا نجده يوافق زعماء القبائل والعلماء في اختيارهم عبد القادر بن محي الدين ليكون على رأسهم في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: البيعة ؛ الأمير عبد القادر؛ الاحتلال الفرنسي ؛ القانون؛ الشرع الإسلامي؛ المقاومة ؛ القيادة ؛ الحكم ؛ الغرب الجزائري.

المقدمة

أكدت مواجهات قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الشيخ محي الدين، ضد قوات الاحتلال الفرنسي بمدينة وهران رفض سكان الغرب الجزائري لفكرة الاحتلال، غير أن

(*) أستاذ محاضر قسم ب. جامعة بشار. قسم العلوم الإنسانية abdelkaderslamanigmail.com

هذه المواجهات لم تكن لها آثار عسكرية ملموسة على التواجد الفرنسي بوهران، فالواقع الاجتماعي والاقتصادي بالمنطقة لم يكن يشجع على تقوية صفوف المقاومة، نظرا لوجود عدة تشكيلات اجتماعية منها من ساهمت بفعالية في دعم المقاومة، وأخرى كانت لها امتيازات خلال الحكم العثماني بالمنطقة والتي لم تكن على استعداد للتخلي عن جميع امتيازاتها بالإضافة إلى هذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدهور، تعرضت منطقة الغرب الجزائري للتدخلين التونسي والمغربي اللذان كان من نتائجهما الاستيلاء على الكثير من أملاك وموارد المنطقة، وزيادة حدة الاضطرابات بين سكان المنطقة، مع استقرار قوات الاحتلال الفرنسي بمدينة وهران ومحاولاتها لإثارة الفتن بين قبائل المنطقة، ونظرا للوضع الذي أصبحت تعيشه المنطقة أصبح من الضروري البحث عن سلطة تنظم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمواجهة الاحتلال الفرنسي.

أمام تلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية المعقدة بدأ أعيان منطقة الغرب الجزائري يبحثون عن شخصية قوية تضبط النظام، بعدما تحصل على موافقة الجميع لمواجهة الاحتلال الفرنسي، ونظرا للبلاء الحسن الذي ظهر به عبد القادر بن محي الدين، من خلال مواجهات قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الشيخ محي الدين ضد قوات الاحتلال الفرنسي، جعلت الجميع يتطلعون لمبايعته أميرا عليهم[1]، وفي 21 نوفمبر 1832م اجتمع في غريس أعيان قبائل المنطقة، بالشيخ محي الدين، وأعربوا له عن رغبتهم لمبايعة ابنه عبد القادر، فأجابهم إلى ذلك ولما عرضوا الأمر على ابنه، وافق على ما اتفق عليه الأعيان الذين اجتمعوا بوادي فروحة بسهل غريس عند شجرة الدردارة، فقام الشيخ محي الدين بمبايعة ابنه ولقبه بناصر الدين، ثم توالى الأعيان وعلماء المنطقة على مبايعة عبد القادر أميرا، ومن هؤلاء الأعيان عمه عبد القادر أبو طالب[2]، وفي 25 نوفمبر دخل عبد القادر إلى مدينة معسكر وتوجه إلى الجامع الكبير بالمدينة، حيث تلقى البيعة من مختلف أعيان القبائل.

ومن الذين حضروا البيعة الخاصة هم: الشيخ الأعرج بن محمد بن فريحة، ومحمد بن حواء بن يخلف، و أحمد بن التهامي، وعبد الرحمن الورغي، ومحمد بن الثعالبي الزلماطي، وهكذا فقد حضر البيعة أعيان مختلف قبائل المنطقة كالحشم[3] والغرابة[4] والجعافرة، وغيرهم

كأولاد سيدي دحو[5] وأولاد سيدي أحمد بن علي والزلامطة ومغراوة والمشارف[6]،وقلعة هوارة وأحوازها[7] لبني شقران* وسجرارة وقبائل غريس وإحيائه وعمائره وعشائره وأعيان القبائل الشرقية كالعطاف سنجاس وبني القصير ومرابطي مجاجة وصبيح وبني خويدم وبني العباس وعكرمة ولمحال وفليته والمكاحلية وأحلافهم وأعيان مجاهر والبرجية والحساسنة وبني خالد وبني إبراهيم القبائل وصدامة[8] وخلافة والزمالة والدوابر[9]، والقبائل القبلية كأولاد الشريف[10] وغيرهم من القبائل الجزائرية .

لقد اختير الأمير عبد القادر دون غيره لأنه كان مدركا لمقتضيات العصر وما تحتاجه البلاد فعلا في ظل الاستعمار الفرنسي، في وسط تسوده العصبيات القبلية والمنهج السياسي الاستبدادي والتعسفي بالمنطقة (كجباية الضرائب بالقوة، انحطاط المستوى الثقافي والانفراد بالحكم)، فالمبايعة والجهاد والمظهر الإنساني للأمير عبد القادر وصورته المعرفية، تحول تفكيره من أمير جهاد إلى مفكر عن منهج سياسي، بمعنى انه كان يعطي الأولوية للجهاد إلى جانب حسن التسيير والتدبير والذي ظهر جليا في معركة حنق النطاح . ويظهر ذلك من خلال تولية خلفائه بحيث عين من كل منطقة خليفة له من نفس المنطقة أي انه لم يكن جهويا وكل ذلك مبني على مقاييس علمية وموضوعية وكذا الرشد السياسي والفكري.

ومما جاء في نص البيعة الخاصة المكتوب من قبل علي بوطالب بن مصطفى بن مختار ما يلي: "....بعد انعقاد البيعة للإمام المعظم و الأمير الجليل المفخم، ابن أخينا السيد عبد القادر بن محي الدين،أحيا الله بهما الدين، بايعناه على: السمع والطاعة وامتثال الأمر ولو في ولد الواحد منا، أو نفسه، وقدمنا نفسه على أنفسنا، وحقه على حقوقنا....."[11].

وبعد أن انتهت مراسيم البيعة الخاصة بدأت القبائل التي لم تحضر البيعة الأولى تتوافد على معسكر لمبايعة الأمير عبد القادر، فجرت بذلك البيعة العامة في 04 فيفري 1833 [12]، ولقد كتب نص هذه البيعة محمد بن حوا المجاهري، ومما جاء فيه ما يلي:" .....بعدما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر بلاد المغرب الأوسط، واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران، أعادهما الله دار إيمان وإسلام، بجاه النبي عليه السلام، وطمحت نفسه العاتية إلى الاستيلاء على السهول والجبال والفدافد والتلال، وصار الناس في هرج ومرج

وحيص وبيص، لا ناهي عن منكر، ولا من يعظ ويزجر، قام من وفقهم الله للهداية، وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكبرائها وصناديدها وزعمائها، فتفاوضوا في نصب إمام، يبايعونه على الكتاب و السنة... فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل إلا ذا النسب الطاهر... السيد عبد القادر ابن مولانا محي الدين.... فبايعوه على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم... ثم قدمت على حضرته الوفود من سائر الجهات والحدود، فبايعه أولهم وآخرهم... بيعة تامة كاملة عامة، بيعة سمع وطاعة، بيعة يعز الله بها الإسلام...."[13].

إن مبايعة الأمير عبد القادر كانت نابعة من التوجه العام لسكان منطقة الغرب الجزائري الرافض للاحتلال الفرنسي، وبذلك كانت سلطته مبنية على شرعية شعبية.

في 21 نوفمبر 1832 عقد اجتماع في سهل غريس ضم أعيان قبائل معسكر لمفاتحة الشيخ محي الدين في شأن الإمارة، وتحت ضغط المجتمعين لقبول الإمارة قال محي الدين لهم " إن الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك الدماء "[14]، ولما امتنع عن قبول الإمارة طالبوه بأن يكون ابنه عبد القادر أميرا عليهم فقبل بذلك، ولما أبلغ عبد القادر وافق هو على ما اتفق عليه الجميع وأظهر التزامه بالمبادئ الإسلامية وتمت البيعة وفق ما كانت عليه في زمن الخلفاء الراشدين،حيث أنه بعد أن اجتمع علماء المنطقة وزعماؤها وخيّموا تحت شجرة الدردارة، جاء محي الدين وذويه، وجلس عبد القادر تحت الشجرة، فقام والده فبايعه على السمع والطاعة وبايعه الباقون وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية[15].

في يوم 25 نوفمبر 1832م دخل الأمير عبد القادر إلى معسكر فاستقبله أهلها،[16]، وقد استقر مع الفرسان الذين انضموا إليه بالخصيبية، ثم دخل إلى جامع المدينة حيث أتته الوفود معلنة طاعتها ومبايعتها له وفي 27 نوفمبر 1832م وقع الأعيان والعلماء الذين شهدوا البيعة على الصك الذي حرره علي بوطالب، ولما تمت البيعة كلف الأمير مجلس العلماء بأن يكاتبوا رؤساء القبائل في مختلف أطراف البلاد بأمر البيعة وما وقع عليه الاتفاق ويدعوهم إلى الحضور لأداء بيعتهم كما أداها غيرهم وفي 13 رمضان 1248هـ-4 فبراير 1833م حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في ساحة مسجد معسكر، وهي تدعو الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة، لتأمين العدالة واستتاب الأمن ومقاومة الاحتلال الفرنسي على أرض

الجزائر[17]، وبعد هذه البيعة الشاملة الصادرة عن إرادة الشعب وتأييد القبائل له، بدأ الأمير في تشكيل نواة الدولة الجزائرية الحديثة[18]، وقد استطاع توجيه الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بإقامة البيعتين الخاصة والعامة من أجل ترسيخ الولاء للوطن الجزائر لا للقبيلة والولاء للكرامة الإنسانية التي يتعلق بها كل جزائري ومن مصادرها حب الأرض وحب الدين وثقافة أصيلة وبالتالي الوطنية الحقيقية و التي تقود إلى النهضة الثقافية أو الصحوة الثقافية .

-1- مفهوم البيعة :

ا- لغة: المبايعة هي صفة على إيجاد البيع وعلى المبايعة والطاعة، فيقال تبايعوا على أمر أي تعاهدوا فالمبايعة تعني العهد. [19]

ب- اصطلاحا: البيعة دينية في الأساس منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تأييد المرشح للخلافة والموافقة على الترشيح وبهذا المفهوم السياسي فهي مثل بيعة الخلفاء الراشدين و بيعة أبي بكر الصديق أول بيعة سياسية في الإسلام ويعرفها ابن خلدون:" البيعة العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه و أمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك "وهي عقد بين الحاكم و المحكوم يوجب كل منهما التزامات[20].

يقول النووي في هذا الصدد: تنعقد الإمامة بالبيعة والأصح بيعة أهل الحل و العقد الذين تيسر اجتماعهم.

كما قال ابن حزم أنهم فضلاء الأمة، وهكذا جرت أقوال العلماء في أن الخلافة تنعقد ببيعة أهل احل والعقد.

ويشترط فيها : - العدالة بكل شروطها

- العلم الذي يتوصل به إلى المعرفة من يستحق الإمامة بالشروط المعبر عنها.

- الرأي و الحكمة المؤديان إلى اختيار من هو أصلح للإمامة وبتدبير المصالح أقوم واعرف.

قد اختلفت الآراء حول العدد الذي تنعقد به الخلافة، والرأي الراجح هو أن يقوم الانتخاب بجمع يتحقق بهم النصاب، له رضا المسلمين، وعليه فان البيعة تتم بأكثر الممثلين، لأكثر الأمد ممن يدخلون تحت طاعة الخليفة الذي يراد انتخابه فبعد أن تتم بيعة الانعقاد بهذا الشكل يأتي دور بيعة الطاعة.

2- تحليل نص البيعة شرعيا وقانونيا :

أ - من الناحية الشرعية:

لفظ البيعة من المصطلحات الإسلامية التي ذكرت في القرآن و السنة النبوية لها مفهوم في السياسة الشرعية، ومن النصوص التي ورد فيها لفظ البيعة قال تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[21]، وقال أيضا: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾. [22]

ب- تنصيب الإمام ضرورة واقعية و فريضة شرعية :

الأمير عبد القادر بويع أميرا على الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي وفق واجب شرعي هو حماية البلاد والقيام بالجهاد وإقامة شرع الله بين الناس لحفظ النفوس والأموال ومنع الفتن ونشر العدل، يدير شؤون الوطن وفق المصلحة العامة ويحرص على رد الحقوق على الشورى والالتزام بالشريعة الإسلامية لقوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[23]وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾. [24]

مبايعة الأمير عبد القادر أحيت المنهاج الإسلامي الراشدي في اختيار الحاكم وتنصيبه وهذا المنهاج انحرف عنه الكثير ممن تولوا الحكم بعد الخلفاء الراشدين حيث صاروا يعمدون إلى القوة في الاستيلاء على السلطة وهذا ما أدى إلى ظهور الدويلات بعد ضعف الخلافة الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين فالمبايعة نموذج إسلامي شرعي وفق مبدأ الشورى كمبدأ أساسي تم تطبيقه وفق نموذج إسلامي سليم في قيادة الحكم.

وتمت مبايعة الأمير عبد القادر في أصعب الظروف التي عرفتها الجزائر مما يجعل ولايته بيعة شرعية من أجل فرض الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي بعد سقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م وعقد اتفاقية الاستسلام من طرف الداي حسين مع الجنرال ديبورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، وبعد زوال النظام السياسي انتشرت فوضى عارمة.

تولى الأمير عبد القادر إدارة البلاد في ظروف صعبة تعمها الفوضى والانتقام،[25] وورث أوضاعا اقتصادية و اجتماعية صعبة رغم ذلك استطاع أن يقاوم وزملاءه المؤسسون النهضويون 15 سنة .

اختلفت مبايعة الأمير عبد القادر مع الأنظمة التي سادت البلاد سابقا، فهو واحد من أبناء البلاد قبل الإمارة نزولا عند رغبة أعيان المنطقة، ولذلك نجد أن من بايعه قد التزم بإرادته الحرة للعمل تحت قيادته،بعيدا عن أي إكراه ورأوا فيه الرجل المناسب، حيث عمل على تأسيس جيش وطني شعبي نظامي عناصره من الفلاحين الجزائريين لا من الأتراك و نظامهم الانكشاري، مع إقامة مصنع وطني لإنتاج الحديد و الأسلحة الضرورية للدفاع عن الجزائر في مليانة، وبناء المدن الحصينة في العمق الجزائري لتحتضن الصناعة العسكرية و معاهدها .

فحكم الأمير عبد القادر للجزائر ليس عن طريق الوراثة أو التعيين وإنما عن طريق الانتخاب والبيعة ورضى الشعب الجزائري، لذا تعتبر سلطته شرعية قانونية يؤكد فيها استمرارية السيادة الجزائرية من عناصر جزائرية أكثر ارتباطا بالوطن، والاهتمام بالمصالح العامة للشعب الجزائري وفق مبادئ أساسية وسلطة صارمة مطلقة مقبولة من الشعب، باعتبار الدين الإسلامي المحرك الأساسي للشعب الجزائري لتدعيم الوحدة الشعبية.[26]

ب- البيعة قانونا :

تعتبر الحملة الفرنسية على الجزائر حربا مسلحة ضد طرف دولي غرضها انتهاك أراضيها بالقوة المسلحة واستعباد مواطنيها واستغلالهم أو قتلهم، وجريمة دولية غير شرعية دوليا نظرا لما وقع من انتهاكات لحقوق الشعب الجزائري،[27]وصورة العدوان الفرنسي على الجزائر في شهر جويلية 1830م تبدو واضحة بقيادة الجنرال ديبورمون والأميرال دوبري" Dupperré"[28] احتلت هذه القوات الفرنسية مدينة الجزائر وفرضت على الداي حسين توقيع معاهدة الاستسلام للشروط الفرنسية.[29]

تعتبر الحملة الفرنسية خرقا للسلام الدولي باستعمال القوة المسلحة ضد الشعب الجزائري بقمع اعتباطي يشكل انتهاكا للقانون الدولي وعملا منظما لتحقيق مكاسب مادية

من أجل السيطرة على الأراضي والاقتصاد الوطني، والسيطرة على الشعب بارتكاب عدة جرائم وهذا ما يخالف القانون الدولي وانتهاكا لحقوق الإنسان فالحملة عملت على إلحاق الجزائر بفرنسا.

معاهدة الاستسلام والتخاذل العثماني في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي تعتبر نهاية الحكم العثماني بالجزائر، بعد سنتين من الاحتلال الفرنسي[30] للجزائر لم تقم الدولة العثمانية بأي ردة فعل للدفاع عن الجزائر باعتبارها ايالة كانت تحت الحكم العثماني بينما تراجع الباي أحمد نحو مدينة قسنطينة الذي كان يعتبر نفسه الممثل الشرعي للدولة الجزائرية بعد استسلام الداي حسين.

كما استسلم الباي حسن[31] لقوات الاحتلال الفرنسي لذا لابد من اختيار قائد يدافع عن الوطن الجزائري في ظل الانتهاكات الفرنسية للأراضي الجزائرية وذلك بعدما لم تستطع كل من تونس والمغرب في إدارة الشعب الجزائري، حيث كانت رغبتهما جمع الضرائب والتوسع على حساب الأراضي الجزائرية، تمت مبايعة الأمير عبد القادر بعدما أحس الشيخ محي الدين أن المعركة طويلة الأمد وتستلزم جهودا كبرى لمواجهة دولة فرنسية أكثر تجهيزا وإصرارا لإلحاق الجزائر بفرنسا، فالمبايعة من الناحية القانونية تعتبر شرعية من أجل الدفاع عن الوطن وفق إرادة الشعب الجزائري نظرا للفراغ السياسي بعد سقوط حكومة الداي وتسليمه لمقاليد الحكم لقوات الاحتلال الفرنسي، والبيعة قضية وطنية للمحافظة على مصالح الشعب الجزائري وتنظيمه وتمثل هذه البيعة الأسس التطبيقية للدولة الجزائرية التي تعمل للدفاع عن الوطن ضد الاعتداءات الفرنسية وفق أطر وطنية فلم يستدع لحضور البيعة لا المغاربة ولا التونسيين ولا أية شخصية من دول عربية أو إسلامية بل كانت بيعة جزائرية مهمتها الدفاع عن الوطن الجزائري وطرد قوات الاحتلال الفرنسي، فالحكم العثماني تميز بالحكم الانفرادي ومن خلال المعطيات التاريخية نلمس غياب العنصر الجزائري المحض في الإدارة العثمانية، بحيث إن كل العناصر الفعالة في المنظومة الإدارية العثمانية كانت من جنسيات مختلفة، أي عثمانية من ألبان أو أرمن، أو يونان وبعض الكراغلة، كما أن رياس الحكم كلهم كانوا عثمانيين، في حين أن المنظومة الإدارية في عهد الأمير عبد القادر تميزت

بحكم أبناء البلد أي جزائريين.

البيعة التي أحدثها الأمير عبد القادر عقد اجتماعي وسياسي يتضمن حقوق وواجبات بين الحاكم والشعب على أساس تجديدي وحركة حديثة في مسار التاريخ الجزائري والإسلامي.[32]و مثلت قطيعة مع الماضي في انتخاب رئيس دولة جزائرية من أبناء الشعب الجزائري دون أي عضو خارجي و حرروا صك البيعة وهو توثيق شرعي لميلاد دولة جزائرية حديثة، أصبح فيه الولاء للشعب وليس لأقليات تتحكم في السلطة فمشروع البيعة هو مشروع اجتماعي حضاري، لم تتبعه أي دولة عربية أو إسلامية في العصر الحديث، فدول الخليج والشام كانت طريقة حكمها على الطريقة القبلية وبعضها تحت الحكم العثماني، وكانت مصر تحت سلطة أسرية بقيادة محمد علي وكذلك ليبيا نظامها أسري بقيادة الأسرة القرامنلية وفي تونس الأسرة الحسينية، بينما كانت المغرب تحت ولاء ملكي وراثي بقيادة الأسرة السعدية ثم العلوية وكانت الدولة العثمانية ذات سلطة وراثية[33]، بينما الجزائر في عهد الأمير عبد القادر كانت سلطتها وفق اختيار الشعب وإرادته على أساس شوري انتخابي.[34] ومن خلال بيعته نلمس حضور الشخصيات البارزة التي حضرت البيعة إنهم عملوا على انتخاب وبيعة واحد منهم، بمعنى يتمتع بالشخصية الجزائرية بالمصطلح الحديث لذلك فبيعة الأمير عبد القادر كان لها هدف منذ البداية، إلى جانب الجهاد وهو الغاية الأولى، كانت لها قاعدة سياسية بيعة الأمير عبد القادر كانت ذات إرادة شعبية وطنية، وهذا ما يثبت الشرعية الكاملة للبيعة ويؤكد ارتباطها بالانتخاب ونستشف ذلك من خلال خطابه إلى جموع مبايعيه، والرجل الذي يكلمكم الآن ليس بوال ولا موظف وإنما هو رجل منكم، "ابن الجزائر" الذي سيحكم بالعدل على هدى القرآن وسنة الرسول الكريم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وغايتنا وحدة شمل القبائل والقضاء على الفساد ومواصلة الجهاد، ودولتنا تحتاج إلى دعم سيادتها والتقيد بنظامها الإسلامي واحترام قوانينها، هذه الدولة هي دولتكم وانتصارها هو انتصار لكم". نلمس أن الأمير عبد القادر يحاول إيقاظ الشعور بالمسؤولية من أجل حماية البلاد ومقاومة الاحتلال الفرنسي، ويؤكد لأبناء الشعب الجزائري سقوط الحكم العثماني بالجزائر ويعلن فعليا الانفصال الرسمي عن الدولة العثمانية، ويجب الاعتماد

على النفس من أجل تحرير الجزائر، المبايعة عقد قدمه الأمير عبد القادر للشعب الجزائري، للدفاع عن الوطن[35].

من هنا يتضح إن البيعة تعتبر مسؤولية تكليف و ليست تشريف، تحمل الأمير عبد القادر أعباءها لحماية الدين الإسلامي والوطن بناء على اختيار الأغلبية من الشعب له، ففكرة سياسة الدولة في القرن 19م وفق إرادة الشعب لم تكن غائبة عن فكر الأمير عبد القادر وممارسته لها.

شكلت مبايعة الأمير عبد القادر نقطة تحول لدى السكان، على اعتبار أن السلطة منبثقة على أساس شرعي ذات مصداقية لذا عملوا على تحرير البلاد[36]، وبما أن أساس أي مقاومة هو مجتمع متجانس موحد الصفوف، فقد اتخذ الأمير عدة إجراءات من أجل تحقيق وحدة الشعب، بدءا باختيار الرجال الذين يساعدونه في مهمته فاختار من رآه مناسبا لذلك، و اتخذ الأمير من مدينة معسكر مركزا للمقاومة[37].

قام الأمير عبد القادر لتوحيد صفوف المقاومة بمراسلة مختلف القبائل التي لم تحضر البيعة العامة، ليطلب منها الانضمام إلى المقاومة الوطنية، وفي شهر جانفي 1833م قامت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير انطلاقا من مدينة معسكر، بجولة على القبائل التي لم تحضر البيعة حتى تنضم إلى المقاومة، وفي 15 جانفي 1833م اصطدمت قوات المقاومة الوطنية بقوات قبيلة فليتة[38] بمنطقة شلف بقيادة العريبي، وبعد مناوشات طفيفة، تعهد العريبي بالانضمام إلى المقاومة، ومن خلال هذه الجولة في سهل شلف، انضمت معظم قبائل المنطقة[39] للمقاومة الوطنية، وبعدها ذلك اتجهت قوات المقاومة الوطنية نحو أرزيو، حيث كان القاضي الطاهر يتعامل تجاريا مع قوات الاحتلال الفرنسي، متجاهلا التحذيرات التي أرسلها إليه الأمير، ودخلت قوات المقاومة الوطنية آرزيو في 13 أفريل 1833م، وتم القبض على القاضي الطاهر وأرسل مكبلا إلى معسكر، أما في مدينة تلمسان فقد كانت الاضطرابات في تصاعد مستمر بين سكان الحضر والكروغليين، فاتجهت قوات المقاومة الوطنية إليها، وتم تعيين بن نونة من طرف الأمير عبد القادر قائدا على المدينة[40].

حاول الأمير عبد القادر من خلال تلك الإجراءات توحيد صفوف الجزائريين لمواجهة

الاحتلال الفرنسي، بالرغم من التعقيدات الكبيرة التي واجهته في حمل جميع التشكيلات الاجتماعية بالمنطقة للتطلع إلى هدف موحد، ومن التحديات الكبيرة التي واجهها بعد مبايعته هي إيجاد نوع من التجانس بين مختلف التشكيلات الاجتماعية، وتوفير الموارد الضرورية لإنجاح المقاومة.

الخاتمة

أدرك الشيخ محي الدين المشروع الفرنسي والأوروبي المستهدف للعالم العربي الإسلامي ووضعية الدولة العثمانية، ولذلك قام بتنظيم المقاومة تحت قيادة واعية لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي دفاعا عن الوطن الجزائري وحفاظا على سلامة أراضيه لذا نجده يوافق زعماء وعلماء المنطقة في اختيارهم لابنه عبد القادر ليكون على رأسهم في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي فاختاروا القيادة للشباب بعد امتناع الشيخ محي الدين تولي هذه المسؤولية لأنه كان يرى فيها أنها حرب طويلة الأمد ومشروع حضاري فبفضل تصديه للمشروع الاحتلالي ساهم في تكوين شخصية وطنية جزائرية ستتبلور ملامحها في الأمير عبد القادر في إطار مشروع إنشاء الدولة الجزائرية الحديثة.

موضوع البيعة هو من أهم المواضيع على الإطلاق، وذلك للأهمية البالغة التي منحتها البيعة للأمير عبد القادر والتي تعتبر كقاعدة أساسية منحته الصفة الشرعية في التعامل مع الفرنسيين باسم الشعب الجزائري ماعدا بعض القبائل الممتنعة عن بيعته.

تنصيب الإمام ضرورة واقعية وفريضة شرعية : بويع الأمير عبد القادر أميرا على الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي وفق واجب شرعي هو حماية البلاد والقيام بالجهاد وإقامة شرع الله بين الناس لحفظ النفوس والأموال ومنع الفتن ونشر العدل، يدير شؤون الوطن وفق المصلحة العامة ويحرص على رد الحقوق على الشورى والالتزام بالشريعة الإسلامية، أحيت المبايعة المنهاج الإسلامي الراشدي في اختيار الحاكم وتنصيبه وهذا المنهاج انحرف عنه الكثير ممن تولوا الحكم بعد الخلفاء الراشدين حيث صاروا يعمدون إلى القوة في الاستيلاء على السلطة وهذا ما أدى إلى ظهور الدويلات بعد ضعف الخلافة الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين فالمبايعة نموذج إسلامي شرعي وفق مبدأ شوري كمبدأ أساسي في

قيادة الحكم.

ـ الحواشي والإحالات:

[1] – تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 16.

[2]– إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 40.

[3]– الحشم : تنقسم الى قسمين هما : حشم الشراقة قبيلة تسكن المنطقة الشرقية من سهل شراقة، الجبال الواقعة بين البرج والقلعة، على ضفاف واد الحداد وواد العبد، سهل فرطاسة أراضي كاشرو يتكون حشم الشراقة من 5 مجموعات: حبوشة،ولاد عباس، أهل غريس، محاميد وولاد عيسى بن عباس، وقد اختار الأمير من بينهم أنصاره ورجاله الأوفياء أما حشم الغرابة، فكانوا يسكنون المنطقة الغربية من معسكر وينقسمون بدورهم إلى 5 قبائل، ينظر:
E. Daumas, *Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839*, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, *éd.* Jourdan, Paris, 1921, p. 9.

[4]– الغرابة: قبيلة تسكن جنوب الأراضي المخصصة لفرنسا حوالي وهران في منطقة من سهل تليلات، غابة مولاي اسماعيل وسهل سيق. كانت جزءا من المخزن، كانت تضم أغاليك الغرابة 15 قبيلة و 3 ضيعات، البرج، القلعة وتليوانت ينظر: E. Daumas, *op.cit.*, p. 7.

[5]–أولاد سيدي دحو: قبيلة تعيش حول ضريحسيدي دحوبين شعبة الريح شمالا وهضبة غريس شرقا ومدينة معسكر جنوبا أغاليك غرابة ينظر: E. Daumas, *op.cit.*, p. 130.

[6]– بن عودة المازاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج2، تحقيق يحيى بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر،2007، ص104 .

[7]– أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808-1847)،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983،ص 164.

* بني شقران: من أغاليك الغرابة، يسكنون المنطقة الجبلية بين واد الحمام والهبرة شمالا وشارب الريح جنوبا ينظر:
E. Daumas, *op.cit*, p. 86.

[8]– صدامة : أغاليك يحدها شمالا أغاليك الفليتة وحشم شراقة تضم 16 قبيلة وضيعتان فرندة وتورزورت ينظر:
E. Daumas, *op.cit.*, p. 104.

[9]– الدوائر والزمالة: أصل هؤلاء الدوائر والزمالة أخلاط من العرب والبربر، فالدوائر: قبيلة من القبائل الموالية للأتراك، كان رئيسها مصطفى بن إسماعيل الذي ساند الفرنسيين أما الزمالة: من القبائل الكبرى في ضواحي مدينة وهران قد وقعت اتفاقا عام 1835 المعروف باتفاق الكرمة اسم المكان التي وقعت فيه الاتفاقية وهي كانت تابعة لفرنسا تحارب الأمير عبد القادر ينظر: محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران، تح: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص.16.

[10]– محمد ابن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، 1966، ص165

[11]–نفسه، ص 159

[12]– شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص82

[13] – محمد بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 146.

[14]– شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص. 82.

[15] – محمد بن عبد القادر،المصدر السابق، ص 155.

[16]–P. Azan, *L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme Français*, éd. Hachette, Paris, 1929, p.14.

[17]– أديب حرب، المرجع السابق، ج. 1، ص.88

[18]– نفسه، ص. 88.

[19]– ابن منظور، لسان العرب،ج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،ط. 1، 1997، ص. 281.

[20]– ابن خلدون، المقدمة، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،ط. 2، بيروت، 2000، ص. 194.

[21]– سورة الفتح الآية 10.

[22]– سورة الفتح الآية 18.

[23]–سورة آل عمران الآية 159.

[24]–سورة الشورى الآية 38.

[25]–J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, *éd.*Renault, Paris, 1858, p. 42 -43.

[26]–B.Abdelhamid, *L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne*, *éd.* SNED, Alger, p. 70.

[27]– سعد الله عمر، الحملة الفرنسية على الجزائر في ظل القانون الدولي، مجلة مصادر، العدد،12 السداسي الثاني، الجزائر،2005، ص 18-20.

[28]–دوبيري : 1775- 1816: ولد في لاروشال دخلالخدمة العسكرية في 1793، قاد في 1810 سفينة لابولون الحربية، وفي 1811 حملة الدفاع عن الأدرياتيك، ونائب أميرال في 1823 عين قائدا لجيش البحرية.عينه لويس فيليب بعد حملة الجزائر أميرال فرنسا وعين وزير البحرية 3 مرات وفي قائدا لمجلس البحرية في 1846، ينظر:

T. Changargnier, *Mémoire du général Changargnier*, *éd.*Levrault, Paris, 1930, p. 2.

[29]–R. Demont, *Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847*, *éd.*Arel, Paris, 1847, t. 1, p. 78 -79.

[30]–شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 76.

[31]– الباي حسن: ولد في حوالي سنة 1805، أصله من الأناضول، عمل كجندي بسيط في صفوف الحامية العثمانية بتلمسان، حيث أصبح بايا لبايلك الغرب الجزائري في سنة 1827، و بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران استسلم

ورحل إلى الإسكندرية ومنها إلى مكة ينظر:

M. Lapène, *Tableau historique de la Province d'Oran 1791-1851*, éd. Lamort, Metz, 1842, p. 26.

[32]-شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص59 .

[33]- عميراوي حميدة، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص13- 14.

[34]-T. Changargnier, *op.cit.*, p. 61.

[35]- شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص156.

[36]-P. Azan, les débuts d'Abdel Kader , B.S.G.A.O.,T XI, Fouque, Oran, 1920,P.20.

[37]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 43.

[38]- الفليتة : أغاليك يحدها شمالا أغاليك الغرابة والمجاهر وشرقا أغاليك الشرق، وجنوبا وغربا أغاليك حشم الشراقة، وهم من أصول بربرية زمورة،الفليتة المحل زمورة، مينة، الشرفة ولاد سيدي بن يحي الشريف مينة الحرارتسة زمورة ينظر: E. Daumas , *op.cit.*, p. 104.

[39]- أديب حرب،المرجع السابق، ج1، ص 89.

[40]- محمد بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 164.

Allegiance of Prince Abdelkader

Considerations and legal and Religious reference

By: Dr. Abdelkader slamani
Bechar University

Abstract:

As a result of the dangerous political vacuum in Algeria that resulted from the surrender of the Daih Hussein on July 5, 1830, the situation became so chaotic that the French occupation led to insecurity and widespread looting due to the chaos that followed the complete collapse of the institutions of the administration.

The social and economic reality did not encourage the strengthening of the ranks of the resistance, because there are several social formations which contributed effectively to support the resistance, and others had privileges during the Ottoman rule and were not ready to give up all privileges, from here emerged a break with the traditions of the previous government and assume command function. to a conscious young man is able to defend, so we find it agrees with the tribal leaders and scientists in their choice Abdelkader bin Mohiuddin to be at their head in the face of the French occupation forces.

Keywords: Allegiance; Prince Abdul Qader; the French occupation; Law; Islamic law; Resistance; Leadership; Judgment; The Algerian West.